زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة القدين يضع الله فيهم الهداية للعظيم الذى يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

« الزيات بك »

— ٥ —

انتقل مصطفى كمال إلى الأناضول .. مبعدا عن القسطنطينية ، وكان عليه أن يعمل على تسريح جيش الأناضول ، وحل جمعية الاتحاد والترقى ، بناء على رغبة السلطان وحيد الدين

وقد اشترط مصطفى كمال قبل انتقاله أن تكون له صفة رسمية ، وأن يكون تحت أمره فيلقان كبيران ، يتبعهما أربع فرق ، كما يكون له الحق فى إصدار الأوامر والتعليمات للقرى المجاورة لمنطقته ، ولو لم تدخل فى دائرة تفتيشه ، وكذلك الاتصال بجميع قوات وولاة الأناضول

ومع أن هذه الشروط أثارت دهشة وزير الحربية ، وجعلته يتردد فى التوقيع ، إلا أن فكرة إبعاد مصطفى كمال من القسطنطينية ، ونفيه إلى الأناضول كانت قوية ومستحكمة . . ولذلك وافق بعد طول تردد ، ومنحه الامتيازات التى أرادها لنفسه

* * *

وصل مصطفى كمال الأناضول فى اليوم التاسع عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م ، وهو اليوم الذى يعتبره مؤرخو النهضة بداية للحركة الكمالية ، ثم بداية للعهد التركى الحديث

وكان مصطفى كمال قد حزم أمره على البقاء فى الأناضول إلى أن تظفر الأمة باستقلالها ، لذلك بادر بالاتصال بالقواد والولاة اتصالا سريا ، وأخذ يبث فى نفوسهم روح الثورة ، ويعمل على تأليف مؤتمر وطنى للنظر فى أحوال الأمة التركية ، ولكن السلطان لم يقبل تأليف مثل هذا المؤتمر ، فقابل مصطفى كمال ذلك بالاستقالة من السلك العسكرى ، وحمل لواء الجهاد كزعيم قومى ...

وفى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ م وقع ميثاق يقضى بمواصلة الحرب إلى أن تتحرر أرض الوطن من العدو الدخيل ، فانضوى تحت لوائه كل من دبت فى قلوبهم الحياة ، وانبعثت من نفوسهم الحمية والغيرة على الوطن التركى الذليل !

وكانت أهم القرارات التى أصدرها المؤتمر الوطنى . . « أن جميع أجزاء الوطن بحدوده القومية كل لا يتجزأ ، وأن تكافح الأمة ضد أى احتلال أجنبى ، وتستمر فى كفاحها فى حالة احتلال الدولة العثمانية ، وأنه إذا عجزت الحكومة العثمانية عن الدفاع عن استقلال الوطن ، فتؤسس حكومة مؤقتة فى الأناضول لهذه الغاية ، وهذه الحكومة تختار من قبل المؤتمر الوطنى . . وإذا لم يكن منعقدا ، فمن قبل هيئته التمثيلية . . »

ولذلك لم تمض فترة طويلة على قرارات المؤتمر ، حتى أقام حكومة جديدة ، واتخذ « أنقرة » عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان

حينئذ أصبح مصطفى كمال — صاحب السلطة المطلقة ، فهو رئيس الحكومة الجديدة ، وقائد جيوش المقاومة ، وعليه يتوقف استقلال البلاد

وفى هذه اللحظات التى كانت البلاد أحوج ما تكون فيها إلى توحيد الجهود ، وجمع الصفوف . . أخذ السلطان يقاوم مصطفى كمال مقاومة فعلية ، فاستصدر فتوى أعلن فيها عصيانه وخيانته للسلطان .. وطبع منها آلاف النسخ ، وألقى بها من الطائرات فى جميع أنحاء الأناضول ، وكان لهذه الفتوى أثران كبيران :

أحدهما من جانب الشعب الذى بدأ يتخلى عنه ، والآخر من جانب اليونانيين الذين أرادوا أن يوسعوا منطقة احتلالهم ، فأخذوا فى التقدم والهجوم شرقى ولاية أزمير . .

كان الموقف فى غاية الحرج ، والبلاد تحيط بها الأخطار من كل جانب ، لكن مصطفى كمال أظهر قوة وحزما وثباتا ، واستطاع فى نهاية الأمر أن يوحد قوى الأمة ، ويستعد للنضال من جديد

* * *

تقدم اليونانيون تقدما سريعا فى بلاد الأناضول ، فوقعت فى أيديهم كوتاهية وأفيون قره حصار ، وأخذت جيوشهم تتقدم قاصدة إسكى شهر ، حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تقضى بمحاصرة الجيش ومحاولة إفنائه ، حتى يستطيعوا الوصول إلى قلب الأناضول ، والقضاء على حركة المقاومة فى أنقرة ذاتها . .

وحينما شعر عصمت — قائد الجيش — بالخطر الذى يهدد البلاد ، بادر بالاتصال بمصطفى كمال ، ليتولى بنفسه قيادة الجيوش ومحاربة اليونانيين

فلما وصل مصطفى كمال أخذ يدرس الموقف دراسة تامة ، ثم أصدر أمره فى النهاية بإخلاء إسكى شهر ، والتراجع إلى الوراء ثلاثمئة كيلومترا والوقوف عند نهر سقاريا ، وقد كان لهذه الأوامر صدى كبير فى نفوس أفراد الشعب ، فبدأوا يغادرون أنقرة خوفا من تقدم الجيوش اليونانية ، كما لاقى مصطفى كمال معارضة شديدة من جانب نواب المؤتمر

وبعد فترة قصيرة بدأت المعارك من جديد ، واستمرت أربعة عشر يوما ، أظهر فيها الأتراك قوة وثباتا ، وكان يقال عن مصطفى كمال « إنه كان يعمل وكأنه صيغ من حديد ؛ وكان ينام أقل الوقت . . كما كان يجلس أكثر وقته إلى مصوراته الجغرافية ، وإلى ضباطه يعمل معهم فى جلد لا ينقد »

وقد كان لجهوده الجبارة وخططه البارعة أثر كبير فى ضعف قوى اليونانيين ، وتراجعهم عن المدينة ، مما جعل الناس فى كل مكان يهتفون بحياة الزعيم ، ويطلقون عليه منذ ذلك الحين لقب « الغازى »

ولم يكن هذا النصر ليكفى مصطفى كمال ، لأنه عقد العزم منذ البداية على أن يخلص البلاد نهائيا من اليونانيين ، ويشهد العالم والتاريخ على أن دولة الظلم لا تدوم ، وإن طال الأمد .

استمر مصطفى كمال يواصل عمله ونشاطه ، يجند جيوش الشبان القادرين على حمل السلاح ، ويتفق مع فرنسا وروسيا ، حتى يضمن جانب الدول الكبرى . وفى ذلك الوقت حدثت سلسلة من الكوارث والاضطرابات فى داخل اليونان ، كان لها رد فعل فى الجبهة الآسيوية ، فلم يعودوا قادرين على الوقوف أمام الأتراك

وما كان للجيش اليونانى أن ينتظر عونا من الحلفاء ، بعد أن خرجت الدول الكبرى من الحرب ضعيفة محطمة ، وبعد أن اتفق الفرنسيون مع الأتراك

ولهذا ترك اليونانيون بمفردهم يجابهون العاصفة ، ويواجهون جيش المقاومة . وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ، أقام الزعيم مباراة كبرى لكرة القدم ، اشترك فيها رجال الجيش ، وأعلن أنه ذاهب لحضور المباراة ، وكان فى الواقع ذاهبا لإصدار أوامره لقواده وضباطه . . وعاد إلى أنقرة ، دون أن يثير الشبهات

وفى اليوم الرابع والعشرين من أغسطس . . دعا رجال أنقرة إلى حفلة راقصة . . استمرت طول الليل . . وأخبر ضيوفه أنه منهمك فى عمل هام . . ثم خرج من البيت قاصدا ميدان القتال ! وما هى إلا ساعات حتى اخترق الأتراك خطوط قوات الاحتلال . . وشطروها شطرين . . وكان مصطفى كمال يتنقل من فرقة إلى فرقة مشجعا الجنود وضاربا لهم أروع الأمثلة فى الجهاد غير آبه بسيل الرصاص ينهال حوله من كل جانب . . وفى النهاية انجلت المعركة وانتهت بهزيمة اليونانيين ، وفرار البقية الباقية منهم إلى أزمير ... وقد أصدر مصطفى كمال أوامره إلى الأتراك قائلا لهم :

« أيها الجنود ... إن هدفكم هو البحر الأبيض ... فإلى الأمام ... »

واستمر يتتبع الجيش الهارب حتى قضى على معظمه . . وقد أنقذت سفن الحلفاء عددا كبيرا من المسيحيين الذين فروا أمام الجيش التركى المنتصر

ومنذ ذلك الوقت لم يبق فى تركيا كلها يونانى واحد ، وأصبح الأتراك وجها لوجه أمام الحلفاء الرابطين فى المضيقين ،